IUGJHR
Vol 27, No 03, 2019, pp 228-246

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2018-01-23)، تاريخ قبول النشر (2018-04-16)

موقف أهل بغداد من الوجود التركي بينهم إبان الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-842م)

أ. عيادة عاشور سالم مشهور [*,1]

أ.د. محمد عبدالقادر خريسات [1]

[1] قسم التاريخ/ التخصص تاريخ إسلامي/ الجامعة الاردنية/ كلية الآداب .

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address m.r_almaistro@yahoo.com

الملخص:

عندما تولى الخليفة المعتصم الخلافة سنة (218-227هـ/833-842م) كان الوضع أمامه مضطربًا معقدًا، حيث ثورة بابك الخُرَّمي سنة 202هـ/816م التي زادت خطورتها وخطر البيزنطيين على الحدود. فأصبح المعتصم بحاجة إلى عنصر عسكري جديد يسند إليه سلطانه، فالتجأ إلى العنصر التركي، الذي بدأ يتوارد إلى البلاد الإسلامية قبله. وكانت خطوة المعتصم العباسي بعيدة المدى بنتائجها، فالترك في تلك الآونة شعب بدوي ميزته الوحيدة الشجاعة العسكرية. فعزم الخليفة على الاستكثار منهم، فزاد من شرائهم من بلادهم، بل واشترى ما كان منهم مملوكًا في بغداد من أصحابهم، وجعل اعتماده عليهم حتى بلغ عددهم أربعة آلاف وأكثر، فشكلوا قوة عسكرية، ولكن طبيعتهم البدوية جعلتهم يتصرفون بطريقة غوغائية مع أهالي بغداد، فأصبحوا يركضون في شوارع العاصمة بغداد بخيولهم فيصدمون الرجل والمرأة والصبي، فيقف لهم الجند من العرب ويجرحونهم، حتى اشتكى أهل بغداد والأتراك إلى الخليفة المعتصم، وتضايق الناس من تصرفاتهم، فخشي الخليفة من هذا الأمر وقرر نقلهم إلى موضع آخر خارج بغداد، ووقعت عينه على سامراء لكي يتجنب حدوث المشاكل.

كلمات مفتاحية: الوجود التركي – بغداد

The attitude of the people of Baghdad from the Turkish Influence/ (218-227AH/ 833-842AD)

Abstract

When the Caliphate al-Mu'tasim took reign in 218-227AH/ 833-842AD, he faced a complicated and restless situation, as the rebellion of Babak Khorramdin has become more dangerous, and the Byzantian threat lurked at the boeders. Al-Mu'tasim became in need for a new military element to lean his reign on. That led to his seeking the new element of Turks who started to arrive successively as migrants, and Islam continued to spread slowly in lands beyond Oxus. Al-Mutasim moved in steps that had far-reaching implications, as Turks were at that time nomads and were distinctive by their military courage. That inticed the Caliphate to bring more of them to his land, and so started to buy Turks from the places they came from and fromtheir owners in Baghdad, and he became dependent on them until they became more than 4000 individuals and became a large military force. But their nomadic nature made them treat people of Baghdad in a barbaric way, roaming the streets with their horses and running into women, men, and children, driving Arab soldiers to confront and hurt them, until people were fed up with their behaviors and both people of Baghdad and the Turks pleaded to the Caliphate to intervine. The Caliphate was afraid that things would get out of control and he decided to move the Turks out of Baghdad, thinking of the city of Samarra to avoid problems.

Keywords: Turkish Influence - Baghdad.

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

أصل الأتراك وموطنهم

تعتبر منطقة ما وراء النهر والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً إلى بحر الخزر غرباً، ومن السهول السيبيرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً هي المنطقة التي استوطنت فيها عشائر الغز وقبائلها الكبرى، تلك القبائل التي نعرّفها بالترك أو الأتراك[1].

ففي النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، انتقلت هذه القبائل من موطنها الأصلي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة، فكانت وراء هذه الهجرة أسباب اقتصادية كالجذب الشديد وكثرة النسل جعلت هذه القبائل تضيق ذرعاً بمواطنها الأصلية، فاضطرت للهجرة بحثاً عن الكلأ والمراعي والعيش الرغيد[2]. إلى جانب هذه الأسباب هناك أسباب سياسية، حيث تعرضت تلك القبائل لضغوط كبيرة من قبائل أخرى كثيرة العدد والعدة والقوة، وهي القبائل المغولية التي أجبرتها على الرحيل لتبحث عن موطن آخر يعج بالأمن والاستقرار[3]. ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان وجرجان[4]، وأصبحوا بذلك قريبين من الأراضي الإسلامية التي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند سنة 21هـ/641م[5].

استخدام الأتراك في الدولة العباسية

عرف العرب الأتراك بعد فتح بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة بن مسلم الباهلي في العصر الأموي، كما عرفوا أنهم يشكلون عنصرًا محاربًا من الطراز الأول. وقد نال الأتراك في بلادهم حقوقًا في العصر الأموي لم تنل مثلها الشعوب التي خضعت للعرب في الفتوح الأولى في عهد الخلفاء الراشدين، فقد أشركهم العرب في الجندية، وفي فتح ما وراء النهر من بلاد الترك، كما أبقوا على ملوكهم ونظامهم في الحكم[6].

أما في العصر العباسي فثمة نص أورده الثعالبي يقول: إن أول من اتخذ الأتراك من الخلفاء المنصور، فاتخذ حمادًا[7]، الذي كان المؤتمن الوحيد عند المنصور على الصندوق الذي وضع فيه الخليفة علمه ودفاتره وأسرار دولته، فكان مفتاحه مع حماد. كما روى ابن جرير الطبري في حوادث سنة 170هـ/786م أن طرسوس[8] عُمّرت على يد أبي مسلم فرج الخادم التركي، ولكن مما لا شك فيه أن عدد الأتراك لم يكن كثيرًا، وأن استخدامهم كان بشكل شخصي وليس طبق سياسة مرسومة[9]. ويقول ابن اسفنديار أن جزءًا من الضريبة التي كان يرسلها أصبهنذ طبرستان[1] للخليفة المنصور كانت عددًا من الغلمان الأتراك[2].

---

(1) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى (ص 106).

(2) هيش، قيام الدولة العثمانية (ص 8).

(3) المقريزي، السلوك (ج1/ 3).

(4) ابن الأثير، الكامل (ج8/ 22).

(5) شوقي، نهاوند (ص 55- 70).

(6) الطبري، تاريخ (ج8/ 66)؛ ابن الاثير، الكامل، (ج4/ 104)؛ محمود، العالم الإسلامي (ص 247)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج9/ 52)؛ أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (ص 185)؛ Chase, F., Robinson, Medleval, Islamic City: An Interdisciplinary Approach to Samarra (p. 119).

(7) الثعالبي، لطائف المعارف (ص 29).

(8) طرسوس: مدينة بين أنطاكيا وحلب. الحموي، معجم البلدان (ج4/ 33).

(9) الطبري، تاريخ (ج8/ 488- 459).

وهناك رواية تقول إن الخليفة المنصور كان يشرف بنفسه على تدريب الغلمان والمماليك على استعمال السيف والرمي بالنبال والتدريب على القتال. ويتضح لنا من هذه الرواية أنهم كانوا بدوًا، ولم تكن لديهم معرفة وإلمام بآداب وأصول التصرف في حضرة الخليفة[3].

ويروى أن الخليفة المنصور أول من استخدم الأتراك في الجيش، وكانوا قلة لا يعتد بها، يقول الجهشياري أن المنصور أمر حمادًا التركي أحد كبار موظفيه بتعديل نظام الضرائب في العراق[4]. كما تؤكد بعض المصادر أن بعض موالي الخليفة وقادته مُقترن بلقب التركي مثل مبارك التركي، وبشار التركي، وشاكر القائد التركي، وفرج الخادم التركي[5]. وفي صد العباسيين عدوان الأتراك الشرقيين في عهد المنصور بعث رافع بن الليث التركي رسولًا إلى فرغانة، وكان أميرها قد أوى إلى كاشغر[6]، واضطر إلى طلب السلام ودفع الجزية، ثم دعاه العرب إلى الإسلام[7].

وفي عهد الخليفة المهدي (158-169هـ/753-775م) أدرك الخليفة أهمية إقليم ما وراء النهر، واحتياج الناس إلى دعاة صادقين ينشرون العقيدة الإسلامية، فأرسل الدعاة إلى تلك المناطق إلى أن وصلوا إلى الهند[8]. وقد أسلم في عهده خمسة عشر ملكًا من ملوك بلاد ما وراء النهر[9].

أدت سياسة المهدي بالكثير من أبناء الترك إلى التوجه إلى أرض الخلافة، والعمل بحاضرتها مدينة السلام، فانضم إلى الجيش العباسي عدد منهم، وعمل البعض الآخر في بلاط الخلافة، كما اشتغلوا في التجارة والصناعة وغيرها[10]. واتخذ الخليفة المهدي مباركًا كما جاء في نص الثعالبي[11].

ويذكر ابن خياط أن الجند الأتراك في الجيش العباسي لعبوا دورًا مهمًّا في القضاء على مقاومة الخوارج الذين ثاروا بقيادة عبد السلام اليشكري زمن الخليفة المهدي سنة 160هـ/776م، حيث أمطروا الخوارج بالسهام فشتتوا جمعهم[12].

---

(1) أصبهذ طبرستان: هو لقب أطلقه الفرس على حاكم طبرستان الذي كانوا يعينونه هناك إبان سيطرتهم على تلك البلاد الواسعة الواقعة بين الي وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل، وكان الفرس لا يعزلون الأصبهذ حتى يموت، فإذا مات أقاموا مكانه ولده. الحموي، معجم البلدان (ج4/ 13-15).

(2) ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان (ص 205).

(3) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف (ص 597- 598).

(4) الجهشياري، الوزراء والكتاب (ص 31).

(5) الثعالبي، لطائف المعارف (ص 202)؛Barthold,W., Turkestan down to the Mangol invasion (p. 201)

(6) كاشغر: تقع في جنوبي شينجيانغ يحدها من الشرق صحراء تاكلامكان ويجاورها من الغرب والجنوب الغربي قرغيزيا وطاجيكستان وأفغانستان وباكستان والهند. حسين، سفر الصين (ص 39).

(7) ابن خياط، تاريخ خليفة (ج2/ 475).

(8) اليعقوبي، تاريخ، (ج3/ 165).

(9) المصدر السابق، (ج3/ 146).

(10) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية (ص 209).

(11) الثعالبي، لطائف المعارف (ص 29).

(12) ابن خياط، تاريخ، (ج2/ 475).

كما أرسل الخليفة المهدي أحمد بن أسد في حملة إلى بلاد فرغانة[1]، ثم أعقب ذلك بعثه الرسل يطلبون إلى كثير من الأمراء الخضوع لسلطانه، فاستجاب له الكثيرون، منهم إخشيد الصفد[2]، وإخشيد أشروسنة[3]، وملك فرغانة ويدعى إخشيد[4].حتى أنه بلغ من جرأة المهدي أن بعث الرسل إلى إمبراطورية الصين يطلب الخضوع لنفوذه[5].

وأرسل الخليفة الهادي مباركًا التركي، الذي كان أحد قواده، للقضاء على الثورة التي قام بها أحد قادة العلويين بزعامة الحسين بن علي (العابد) الذي قُتل في معركة فخ بتاريخ (8 ذو الحجة 169هـ/ 11 يونيو 786م) في المدينة وذلك في عام 169هـ/785م[6].

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) وفد الأتراك على عاصمة السلام بصورة محدودة، وبدأ اتصالهم الأول بالعمل في بغداد، أو الالتحاق بالجيش. وبصفة عامة أوجدوا لهم مكانًا في أرض الخلافة كعنصر إسلامي جديد[7].ومن هؤلاء الأتراك الذين استخدمهم الرشيد سليم فرج الخادم الذي عمّر طرسوس وأنزل فيها الناس. وكذلك مسرور الخادم الذي أصبح ذا مكانة عند الرشيد وموضع ثقته وأسند إليه أمور البريد. وفرج الرخجي الذي قلّده الأهواز[8]. وغيرهم الذين كان لهم دور في القضاء على ثورة الوليد بن طريف الشاري[9].

أما في عهد الأمين (193-198هـ/808-813م) فقد استخدم الأتراك في جيشه وخاصة أتراك خاقان[10].

أما في عهد المأمون (198-218هـ/813-832م) فقد وفد الأتراك بكثرة ووصل منهم عدد على شكل هدايا أو ضمن الخراج للمأمون[11]، وكان عبدالله بن طاهر[12] يرسل سنويًّا ألفي غلام كجزء من خراج خراسان[13].

وعين الخليفة المأمون طولون والد أحمد بن طولون رئيس حرسه أمين السر[1]. فقد جاء طولون إلى الدولة العباسية مع الخراج الذي أرسله أسد بن نوح السامانى[2]، ونظرًا لجديته وإخلاصه في العمل رُقّيَ في المناصب إلى أن وصل إلى

---

(1) هي من بلاد ما وراء النهر، تقع على ضفة نهر سيحون الشمالية، وقصبتها أنديكان. الحموي، معجم البلدان (ج4/ 253).

(2) الصفد: كورة عجيبة قصبتها سمرقند، وقيل هما صُغدان؛ صغد سمرقند وصغد بخارى. وهي قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند، قريبة من بخارى وهي من أجمل جنان الدنيا لكثرة بساتينها التي لا يحصرها النظر، وقيل الصفد في الأصل اسم الوادي أو النهر الذي تشرب منه البساتين. الحموي، معجم البلدان (ج3/ 409- 410).

(3) أشروسنة: هي بلاد ما وراء النهر تقع بين سمرقند وخجندة في المجرى الأدنى لنهر زرفشان، ومدينتها الكبرى بلسان. الحموي، معجم البلدان (ج1/ 197).

(4) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص 28).

(5) الطبري، تاريخ (ج10/10، 21، 62- 63).

(6) الأزدي، أخبار الدول المنقطعة (ص 170)؛ أبو الفداء، المختصر (ج1/ 314).

(7) الطبري، تاريخ (ج2/ 475)؛ الأزدي، أخبار الدول المنقطعة (ص 170)؛ أبو الفداء، المختصر (ج1/ 314).

(8) الطبري، تاريخ (ج10/ 50)؛ الجهشياري، الوزراء (ص 265)؛ ابن الأثير، الكامل (ج6/ 108)؛ الليلم، نفوذ الأتراك (ج1/ 207).الأهواز: تقع تقع ما بين البصرة وفارس، وسوق الأهواز من مدنها. الحموي، معجم البلدان (ج1/ 285)؛

(9) الوليد بن طريف الشاري بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو بن مالك الشيباني، كان قائداً للخوارج، وكان مقيماً بنصيبين والخابور، خرج في خلافة الرشيد، فأرسل له الرشيد القائد يزيد بن مزيد بن زائد الشيباني وهزمه وقتله. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج6/ 31- 32).

(10) الطبري، تاريخ (ج8/ 419).

(11) البلاذري، فتوح البلدان (ص 475)؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية (ص 209).

(12) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الأمير العادل أبو العباس حاكم خراسان وما وراء النهر (213-229هـ/929-944م). الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج10/ 685).

(13) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص 39).

منصب رئيس الحرس. إلى جانب هذا فإن المأمون قد عين خالد بن عبد الملك[3] وهو تركي من بلاد ما وراء النهر، متخصصًا في المرصد[4] الذي أنشأه.

أما في الجيش، فقد بدأت العناصر التركية تظهر وتنمو حيث نظم المأمون جيشه بحيث أصبح واضحًا فيه قلة العناصر العربية وكثرة الفارسية، ولم يمض وقت طويل حتى ظهر قائدان تركيان كان لهما أثر كبير في جيش المأمون وهما الأفشين[5] وأشناس[6] التركيان. ويروي المسعودي أن رافع بن الليث[7] انضم بمن معه من جند إلى المأمون[8]. ورافع يعيش في سمرقند، وتجمع حوله الكثير من الأتراك من أنحاء بلاد ما وراء النهر بحيث كانوا العنصر الرئيسي في جيشه[9].

كما استقطب المأمون عددًا من الأتراك وغيرهم من خراسان، ليدخلهم في الجيش الذي سار لمحاربة أخيه الأمين، فكان عددهم سبعمائة من الخوارزمية.

وروى الجاحظ أنه رأى في بعض غزوات الخليفة المأمون خيلاً في جنبي الطريق، مائة فارس من الأتراك في الجانب الأيمن ومائة من سائر الناس في الجانب الأيسر، وإذا هم قد اصطفوا ينتظرون مجيء الخليفة المأمون، وقد انتصف النهار فاشتد الحر، وجميع الأتراك جلوس على ظهور خيولهم، وجميع تلك الأخلاط من الجند قد رموا بأنفسهم إلى الأرض، وهذا يدل على أن الخليفة المعتصم قد عرفهم عندما جمعهم واصطفاهم في خلافته[10].

وعندما كان المأمون مقيمًا بمدينة مرو بعث جيشًا إلى الصغد وأشروسنة وفرغانة[11]. ويشير أحد المؤرخين إلى الحملة التي بعثها العباسيون سنة 194هـ/ 800م إلى مدينة قولان[12]، وقبيل احتدام الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون، بدأ الأخير يلقى المتاعب من الأتراك الشرقيين، فقد شق القارلوق[13] عصا الطاعة، ويتبعهم خاقان التبت[14]، وكان ملك كابل

---

(1) أمير الستر: هو الذي يحجب الخليفة عن الناس. ابن الأثير، الكامل (ج1/ 135).

(2) أسد بن نوح السامانى: هو سلطان بخارى وسرقند وابن سلاطينها أبو القاسم نوح بن منصور بن نوح بن عبد الملك بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج515/16).

(3) الكندي، كتاب الولاة (ص 192).

(4) المرصد: موضع لرصد الراصد، وهو الرقيب الذي يقصد بالمرصاد. مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (ص 11).

(5) الأفشين: حيدر بن كاوس، من قواد الخليفة المعتصم، لعب دوراً في محاربة بابك الخرمي واستطاع التغلب عليه. الدينوري، الأخبار الطوال (ص 403- 404).

(6) أشناس: من الغلمان الأتراك الذين اشتراهم الخليفة المعتصم ببغداد، وكان مملوكاً لنعيم بن حازم، وقد أعجب المأمون بشجاعته فقربه واعتمد عليه. الطبري، تاريخ (ج9/ 103).

(7) رافع بن الليث بن نصر بن سيار. الطبري، تاريخ (ج8/ 327).

(8) المسعودي، التنبيه والإشراف (ج1/ 57).

(9) ابن الأثير، الكامل (ج5/ 362).

(10) الجاحظ، رسالة مناقب الترك (ج1/ 61).

(11) البلاذري، أنساب الأشراف (ص 436).

(12) هي مدينة في مقاطعة أذربيجان الشرقية. www.wikipedia.org

(13) القارلوق (الكارلوك): هي إحدى المجموعتين المشهورتين من القبائل التركية ولا يزالون يعيشون في تشكيلات بدوية أو ريفية (ضياع القرى) شبيهة بالحياة البدوية الأولى التي كانوا عليها. الجزيرة نت، آسيا الوسطى منشأ الشعوب التركية.

(14) خاقان التبت: خاقان هو لقب لكل ملك من ملوك الترك والتتار، ويختصر اللقب إلى خان أو قان. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية (ص 66).

يستعد لغزو ما جاوره من خراسان، وكف أمير أترار[1] عن دفع الجزية، وأشار الفضل بن سهل على المأمون بأن يكتب إلى القارلوق وخاقان التبت بأنه قد ولاهما على بلادهما ويعدهما بالوقوف إلى جانبهما في حروبهما مع الأمراء المجاورين لهما[2].

واستطاع العباسيون أن يحلوا المشكلة المستعصية في تاريخ العلاقات العربية- التركية بوقفهم عدوان الأتراك الشرقيين، وقضائهم على الخطر الصيني[3].

وتعددت روافد الأتراك زمن الخليفة المأمون، وبدأ عددهم يتزايد في العاصمة بغداد، وأظهر الكثير منهم مهارة وقدرة، فاستخدمهم الخليفة في الجيش وللحفاظ على سلامته الشخصية وجعلهم في حرسه الخاص، فكانت هذه بداية تكوين القوة والنفوذ التركي[4].

الخليفة المعتصم والأتراك

المعتصم، هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ولد في بغداد في العاشر من شهر شعبان من عام 178هـ/795م[5]، أمه أم ولد تسمى ماردة، وهي من مولدات الكوفة، وكانت أمها من صغد، كان أبوها قد نشأ في العراق[6]. العراق[6]. اتجه الرشيد في تنشئة المعتصم اتجاهًا عسكريًّا دفعته إليه شجاعته وإعجابه بالبطولة، ولهذا لم تكن له ثقافة عالية، فحرمه الرشيد من الولاية.

تولى المعتصم في خلافة المأمون بلاد الشام ومصر، وكان اليد اليمنى له فيما صادف من مشكلات وخاض حروبًا. وعندما مرض الخليفة المأمون عهد إليه بالخلافة، ولم يعهد بها لابنه العباس لأنه رأى في أخيه مقدرة وقوة شكيمة وخبرة واسعة ليدير دفة الأمور من بعده[7].

وفي اليوم الذي توفي فيه الخليفة المأمون ببلاد الروم بويع له بالخلافة، ولقب بالمعتصم بالله، في 19 رجب 218هـ/10 أغسطس 833م. ولم يزل خليفة إلى أن توفي في مدينة سامراء في 18 ربيع الأول 227هـ/4 فبراير 842م،

---

(1) أترار: تقع في كزاخستان، وتسمى أطرار أو أترار، فتحها قتيبة بن مسلم عام 95هـ/713م في عهد عبد الملك بن مروان، ثم أعيد فتحها في عهد عهد السامانيين عام 275هـ/840م على يد القائد نوح بن أسد في خلافة المعتصم بالله. الجزيرة نت، جمهوريات آسيا الوسطى: مدن وعلماء.

(2) محمود، الإسلام في آسيا الوسطى (ص 134).

(3) الجاحظ، رسالة مناقب الترك (ج1/ 53)؛ الأندلسي، طبقات الأمم (ص 17).

(4) Osman, Mutasim and the Turks (p. 19)

(5) الأزدي، نهاية الأرب (ج22/ 242-243)؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 379)؛ الزركلي، الأعلام (ص 45)؛ المقريزي، شذور العقود (ص199- 200)؛ الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (ص 271).

(6) الطبري، تاريخ (ج123/9).

(7) البارودي، دراسات (ص 151).

ودفن في الجوسق[1]. فكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وكان الخليفة المعتصم أول الخلفاء العباسيين الذي أضاف إلى اسمه لفظ الجلالة فتسمى بالمعتصم بالله، ونقش في خاتمه: الله ثقة أبي إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن[2].

وتروي المصادر أن المعتصم تسمّى بالمثمن من أحد عشر وجهًا: كانت خلافته ثماني سنين، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وغزا ثماني غزوات، وتوفي وله ثمانٍ وأربعون سنة، وهو الثامن من ولد العباس، والثامن من الخلفاء، وتولى الخلافة وعمره ثماني عشرة سنة، وولد في شعبان وهو الشهر الثامن، وخلف ثمانية ذكور منهم هارون الواثق وجعفر المتوكل وأحمد المستعين، وثماني بنات[3]، وخلف ثمانية ألف ألف درهم[4]، وفتح ثمانية فتوح: عمورية[5]، ومدينة بابك[6]، ومدينة الزط،[7] الزط،[7] وقلعة الأحزان، ومصر[8]، وأذربيجان[9]، وديار ربيعة[10]، وأرمينية[11]. ووقف في خدمته ثمانية ملوك: الأفشين،

---

(1) الطبري، تاريخ (ج294/10)؛ القضاعي، الإنباء (ص 287)؛ القاشي، رأس مال النديم (ص 341- 342)؛ حسن، تاريخ الإسلام السياسي (ص 64).

والجوسق: لفظة فارسية معرّبة بمعنى القصر، يقع هذا القصر على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وقد سكنه الخليفة المعتصم طيلة فترة حكمه. اليعقوبي، تاريخ (ج478/2)؛ سوسة، ري سامراء (ج1/ 74).

(2) المسعودي، التنبيه والإشراف (ص 356)؛ القضاعي، تاريخ القضاعي (ص 287)؛ القلقشندي، مآثر الأناقة (ج1/ 219).

(3) القاشي، رأس مال النديم (ص 126).

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج5/ 376)؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (ج4/ 113)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج1/ 482) ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب (مج3/ 171).

(5) عمورية: مدينة تقع في بلاد الروم، وقيل تقع في الإقليم الخامس وقيل الرابع. الحموي، معجم البلدان (ج4/ 158).

(6) بابك تقع في الجزء الأوسط من جمهورية ناخشيفان في جمهورية نخجوان في أذربيجان. www.waybackmachine.com

(7) الزط: بضم الزاي وتشديد الطاء، وهي كلمة فارسية، أصلهم من بلاد الهند إلى بلاد فارس والعراق، ومنطقتهم تقع بين المنصورة ومكران في بلاد بلاد السند. شبكة العراق الثقافية.

(8) مصر: دولة عربية في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقياء، ولديها امتداد آسيوي حيث تقع شبة جزيرة سيناء داخل قارة آسيا. موقع الأمم المتحدة، (17/يناير/2015).

(9) أذربيجان: هي واحدة من ست دول تركية مستقلة في منطقة القوقاز في أوراسيا، تقع في مفترق الطرق بين أوروبا الشرقية وآسيا الغربية. www.waybackmachine.com

(10) ديار ربيعة: حاضرتها الموصل، وهي مدينة مشهورة وإحدى قواعد بلاد الإسلام في محط رحلات الركبان ويقصدها إلى جميع البلدان، وهي باب العراق ومفتاح خراسان. كوركيس، تحقيقات بلدانية (مج25/17).

(11) أرمينية هي بلد جبلي غير ساحلي، يقع في القوقاز من أوراسيا، حيث تتموضع عند ملتقى غرب آسيا وشرق أوروبا. www. Wikipedia.org

والمازيار[1]، وبابك الخرمي[2]، وباطس[3]، وملك عمورية، وعجيف ملك أسباخنج[4]، وقائد الرافضة[5].وصول صاحب اسبيجاب[6] وهاشم ناحور ملك طخارستان[7] وكناسة ملك السند[8]. فقتل هؤلاء سوى صول و هاشم.

المعتصم واستكثاره بالأتراك

عندما أصبح المعتصم خليفة، تزايد الوجود التركي وبشكل واضح، حيث استمر المعتصم بجلب العنصر التركي في بلاط الخلافة، فتعددت روافد استقدامهم، ولم يألُ الخليفة المعتصم جهدًا في كيفية الحصول عليهم، وحاول أن يجعلهم محورًا رئيسيًّا في جيشه فألح في طلبهم، حتى أنه اشترى ما كان منهم في العاصمة بغداد من رقيق الناس[9]. فكان الخليفة المعتصم يرسل مبعوثه جعفر الخشكي إلى سمرقند حيث نوح ابن أسد الساماني، ليشتري له الأتراك ليكونوا العنصر القوي الجديد الذي يمثل عصب جيش الخلافة، وكان هذا يتكرر سنويًّا في عملية دورية مستمرة[10]، حتى أنه كان يشتري المملوك منهم كما يروي المقدسي بـــ 100 ألف درهم و200 ألف درهم[11].

وكان عبدالله بن طاهر أمير خراسان (213-229هـ/929-944م) يرسل إليه سنويًّا ألفي غلام تركي كجزء من خراج خراسان[12]. فأصبح الخليفة يهتم بهذا العنصر ويشجعهم على الانخراط في جيشه حتى أصبح جل شهود عسكره من أهل بلاد ما وراء النهر[13]، سمرقند[14]، وفرغانة، وأشروسنة، والشاس[15] وغيرها من بلاد الترك، فأضاف إلى ما تركه له أخوه المأمون الذي كان يأتيه عن طريق الخراج أولئك الذين يحضرون من تلقاء أنفسهم ليجدوا فرصتهم في دار الخلافة، والعمل في

---

(1) المازيار: محمد بن قارن حاكم أصبهنذ طبرستان. www.arab-ency.com

(2) بابك الخرمي: هو زعيم ديني فارسي وقائد فرقة الخُرمية. www.arab-ency.com

(3) باطس: هو ملك عمورية. الذهبي، العبر (ج401/1).

(4) عجيف ملك أسباخنج. الذهبي، العبر (ج401/1). لم أقف على ذكر له في المصادر والمراجع.

(5) قائد الرافضة: هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. الحسن، الدولة العباسية (ص 203).

(6) اسبيجاب: مدينة تقع في إقليم يحمل نفس الاسم واقع إلى الشمال من مدينة طشقند عاصمة أوزبكستان إلى الشرق من نهر سيكون وهي مدينة سيرام سيرام الحالية. سترينج، بلدان الخلافة الشرقية (ص 527).

(7) طخارستان: تقع في نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى، العليا شرق الله وغربي نهر جيجون، والسفلى في نفس المكان إلا أنها أبعد عن بلخ. الحموي، معجم البلدان (ج26/4).

(8) السند: بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان. الحموي، معجم البلدان (ج267/3).

(9) اليعقوبي، تاريخ (ص 55).

(10) اليعقوبي، البلدان (ص 55).

(11) المقدسي، البدء والتاريخ (ج5/ 112).

(12) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص 39).

(13) البلاذري، فتوح البلدان (ص 475).

(14) سمرقند: تقع حالياً في أوزبكستان، وهي عاصمة ما وراء النهر التاريخية، وصفها بعض الرحالة العرب بالياقوتة الراقدة على الضفة الجنوبية لنهر زرافشان. الجزيرة نت، جمهوريات آسيا الوسطى: مدن وعلماء.

(15) الشاس: تقع حالياً في أوزبكستان، دخلها الإسلام على يد قتيبة بن مسلم حوالي عام 94هـ/712م. الجزيرة نت، جمهوريات آسيا الوسطى: مدن وعلماء.

البلاط كخدم وطباخين وصناعين وتجار، ثم إنه بذل الأموال الكثيرة في الحصول عليهم، فاجتمع له منهم أربعة آلاف، فألبسهم أنواع الديباج والحلية الذهبية وأبانهم بالزي عن سائر جنوده[1].

تشير بعض الروايات كرواية المسعودي، والإصطخري، وابن خلكان، وابن حسول، والنويري: لقد دخل الترك في صفوف الجيش وكانت قيادتهم أول الأمر في يد رجال من العرب والفرس، لكن هؤلاء ما لبثوا أن تدرجوا في سلم الجندية إلى أن وصلوا إلى أعلى مراتبها، حيث ظهر عند البعض منهم مواهب مكنتهم من التحكم بمقاليد الأمور والسلطوية[2].

واستمر الخليفة في جلب الأتراك والاهتمام بهم، كما جلب لهم النساء من أبناء جنسهم وزوجهم بهن، فازداد عددهم على ما يقارب الخمسين ألفًا. وهناك من أشار إلى أن عدد الأتراك في عهد المعتصم وصل إلى سبعين ألفًا[3]، جاء ذلك في شعر لعلي بن الجهم[4] حين مدح الخليفة المعتصم:

أمامي من لـــــــه سبعون ألفًا من الأتراك مسرعـــــــــــة السهـــــــام[5]

أشار ابن تغري بردي إلى أن جيش الخليفة المعتصم قبل رحيله إلى سامراء وصل إلى ثمانين ألفًا[6]، واستند المؤرخون على ذلك بقول المعتصم لأهل بغداد عندما تضايقوا من جند الأتراك وطلبوا منه أن يخرجهم قائلين له: تحول عنا وإلا قتلناك. فقال لهم: وكيف تقتلونني وفي عسكري ثمانون ألف دارع[7].

العوامل التي ساعدت المعتصم على الاستعانة بالأتراك

كان العنصر الفارسي هو السائد أيام المأمون، ولما جاء المعتصم أراد أن لا يقع تحت رحمة الفرس مرة أخرى، فاتجه إلى العنصر التركي.

يرى البعض أن سبب عدم اعتماد الخليفة المعتصم على العنصر الفارسي هو تطلعهم للحكم والسلطة، وذلك بعد زيادة نفوذهم وتملكهم في مناصب عديدة بالدولة، ونظرتهم للعرب على أنهم سلبوهم ملكهم القديم، وترأسوا عليهم[8].

وربما أن انتشار المذهب الشيعي لدى الفرس وولاءهم للعلويين كان من أسباب عدم اعتماد الخليفة المعتصم عليهم، فعندما كان الصراع محتدمًا بين الأمين والمأمون، كان المأمون في خراسان وقد كانت السلطة الحقيقية في يد الوزير الفضل بن سهل الذي كان يميل إلى البيت العلوي، وقد حاول الفرس أكثر من مرة نقل الخلافة إلى البيت العلوي بالثورة والوقوف مع

---

(1) اليعقوبي، تاريخ (ص 55)؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج2/ 233)؛ شمس، تاريخ التصوف (ص 65).

(2) المسعودي، مروج الذهب (ج4/ 57)؛ الإصطخري، المسالك والممالك (ص 164)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ص 183)؛ ابن حسول، تفضيل الأتراك (ص 40)؛ النويري، نهاية الأرب (ج22/ 246).

(3) المسعودي، مروج الذهب (ج2/ 440)؛ الأزدي، أخبار الدول المنقطعة (ج2/ 352)؛ ابن دحية، النبراس (ص 63)؛ حسن، تاريخ الإسلام (ج2/ 193)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج10/ 325).

(4) علي بن الجهم بن بدر بن الجهم: هو أحد الشعراء في العصر العباسي. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج3/ 355).

(5) ابن الجهم، ديوانه (ص 12).

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج2/ 233).

(7) الكتبي، عيون التواريخ (ص 29).

(8) القرغولي، الحياة السياسية (ص 19).

الخارجين[1]. ومن الطبيعي أن يؤدي انتقال الخليفة المأمون من مرو إلى بغداد إلى سوء العلاقة بين الفرس والعباسيين ولهذا استعان المعتصم بالأتراك[2].

وروى ابن الفقيه أحاديث عن الاستعانة بالأتراك، فقد قال: ليُخرِجنّ الترك أهل العراق من بلادهم. ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يجيء قوم عراض الوجوه صغار العيون فطس الأنوف حتى يربطوا خيولهم بشاطئ دجلة، وفي حديث قال الرسول عليه الصلاة والسلام: اتركوا الترك ما تركوكم[3].

إضافة إلى أن الصفات التي يتميز بها الأتراك من القوة البدنية والعسكرية، كما لقب بالسبّاع نظراً لأنه كان يصيد السباع بيده، ويطوي أعمدة الحديد في حلوقها أطواقاً ويرسلها، والبيطار لأنه كان يصيد حمر الوحش ويغلها بالحديد ويطلقها[4]. ويطلقها[4]. وأنهم يحبون الزعامة والرياسة في الجند، وأنهم اشتهروا بالفروسية وتشابهت طباعهم مع طباع الخليفة المعتصم فاهتم بهذا العنصر في خلافته[5].

فمنذ عام 213هـ/828م أصبح المعتصم من الشخصيات السياسية والعسكرية البارزة عندما ولاه المأمون على بلاد الشام ومصر[6]، إذ أثبت المعتصم كفاءته العسكرية عندما قامت الثورة في مصر، وتم مقتل عاملها هناك، فخرج عام 214هـ/829م إلى مصر، وتمكن من قمع الثورة والظفر بقادتها وقتلهم[7]، وأصبح المعتصم من يولي ويعزل من العمال في مصر حسب المصلحة كما يراها هو ومستشاروه كأحمد بن أبي داود[8].

إن عدم رغبة الخليفة المعتصم بالتفكير بالاستعانة بالعنصر العربي، هو مشاركته (أي العنصر العربي) بالحرب التي قامت بين القيسية واليمانية. فحدث ذلك عندما عهد إليه الخليفة المأمون سنة 214هـ/829م على مصر والمغرب، ولابنه العباس على الجزيرة، فوثب القيسية واليمانية بمصر، فدعاهم المعتصم للصلح، فرفضوا، فسار إليهم من برقة وحاربهم وتمكن من هزيمتهم، وقام بضرب عنق عبدالله بن جليس الهلالي رئيس القيسية وعبد السلام الجذامي رئيس اليمانية، وصلبهم على جسر، وأسر بعضاً منهم، وحمل الأسرى إلى بغداد[9]. فلهذا أراد المعتصم أن يستجلب عنصراً جديداً يضمن ولاءهم له ويكونوا له عصبة خاصة.

الأسباب التي كانت وراء خروج المعتصم من بغداد

- توسع الخليفة المعتصم في استخدام الأتراك في جيشه، فقويت شوكتهم، كان من أهم الأسباب التي دفعته إلى الانتقال من بغداد. فيروي الجاحظ في مناقب الترك أن المعتصم استكثر من المماليك الأتراك، فضاقت بهم مدينة السلام بغداد، وتأذى

---

(1) المرجع السابق (ص 52- 54).
(2) الاحمدي، سامراء (ص 76).
(3) ابن الفقيه، البلدان (ص 633).
(4) الدواداري، كنز الدرر (ج5/ 207)؛ ابن وادران، تاريخ العباسيين (ص 544)
(5) ابن حسول، تفضيل الأتراك (ص 41- 42)؛ العدوي، الحياة الاجتماعية (ص 323)؛ القرغولي، الحياة السياسية (ص 19- 20)؛ موسوي، العوامل التاريخية (ص 144).
(6) الطبري، تاريخ (ج10/ 279)؛ ابن الأثير، الكامل (ج6/ 409).
(7) الطبري، تاريخ (ج10/ 208)؛ الكندي، كتاب الولاة (ص 186- 188).
(8) المقريزي، المقفى الكبير (ج7/ 362).
(9) اليعقوبي، تاريخ (ج3/ 129).

بهم الناس، وزاحموهم في دورهم، وتعرضوا للنساء[1]، فكان في كل يوم ربما قتل منهم جماعة. وازدادت لهجة أهل بغداد شدة، فجاء على لسان أحد الشيوخ الذي قال للمعتصم: "يا أبا إسحاق، لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا، فأيتمت بهم صبياننا وأرملت بهم نسواننا، وقتلت بهم رجالنا". وقد استمع له المعتصم ولم يسمح لجنوده بإبعاده أو إيذائه. ودخل بعدها إلى منزله، ولم ير راكبًا إلا في يوم مثل ذلك اليوم. فركب وصلى بالناس العيد، وسار إلى موضع سامراء وبناها[2].

- أما اليعقوبي فيقول: "وكان أولئك الأتراك العجم إذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يميناً وشمالًا، فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضًا ويضربون بعضًا، وتذهب دماؤهم هدرًا، ولا يعدون على ما فعلوا ذلك، فثقل هذا الأمر على الخليفة المعتصم وعزم على الخروج من بغداد"[3].
- أما الطبري فيذكر أن سبب خروج المعتصم العباسي إلى القاطول[4] سنة 220هـ/ 835م أن غلمانه الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلًا في أرباضها، وذلك أنهم كانوا عجمًا حفاة يركبون الدواب، فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها، فيصدمون الرجل والمرأة، ويطأون الصبي، فيأخذهم الآباء فيدكونهم على دوابهم ويجرحون بعضهم، فشكت الأتراك إلى الخليفة المعتصم وتأذت منهم العامة[5].
- أما صاحب مروج الذهب فيقول: "وكانت الأتراك تؤذي العوام في مدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق، وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك. فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير. فعزم الخليفة المعتصم عن النقلة منهم"[6].
- ويروي في التنبيه والإشراف: "وكان السبب في ذلك أن أهلها كرهوه (المعتصم)، وتأذوا بجواره حين كثر عبيده من الأتراك وغيرهم من الأعاجم، لما كانوا يلقونه منهم ومن غلظتهم، وربما وثبت العامة على بعضهم فقتلوه لصدمهم إياهم في حال ركضهم، فأحب التنحي بهم والانفراد عن مدينة السلام بغداد"[7].
- أما البغدادي فقال: "وقد كثرت عسكر الخليفة المعتصم، وضيق بغداد عنه، وتأذى الناس به، بنى الخليفة سامراء، وانتقل إليها بعسكره وسكنها"[8].
- ويضيف مسكويه (ت 421هـ/1030م) على ذلك فيقول: "حكي أنه قام إلى المعتصم يومًا رجل من العامة فقال: يا أبا إسحاق، أخرج عن مدينتنا وإلا حاربناك لما لا تقوم له. فتقدم بأخذ الرجل وحمله إليه إلى أن صار بين يديه، فقال له:

---

(1) الجاحظ، رسالة مناقب الترك (ص 36)؛ كاظم، تمثيلات الآخر (ص 274).

(2) الطبري، تاريخ (ج9/ 18)؛ الطقطقي، الفخري (ص 211).

(3) اليعقوبي، البلدان (ص 256).

(4) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان في موضع سامراء قبل أن تعمر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر، وبنى على فوهته قصراً سماه أبا الجند. الحموي، معجم البلدان (ج3/ 297). ويقول عبد الباقي: تقع المدينة التي بناها المعتصم على القاطول في منطقة القادسية الممتدة بين نهر القائم ونهر دجلة على بعد 10 كيلومترات. عبد الباقي، سامراء (ج1/ 29).

(5) الطبري، تاريخ (ج9/ 18).

(6) المسعودي، مروج الذهب (ج4/ 53).

(7) المسعودي، التنبيه والإشراف (ص 308- 309).

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (ج3/ 346).

ويلك بمن تحاربني وما هذا الذي لا قوام لي به؟ قال: نحاربك بأصابعنا إذا هدأت العيون في الليل، يقصد به الدعاء. فسكت عن الرجل ولم يعرض له. ثم خرج فبنى سر من رأى"[1].

- أما ابن حمدون (ت 562هـ/1167م) فيقول أن سبب خروج المعتصم أن غلمانه الأتراك كثروا في بغداد فتولعوا بحرم الناس وأولادهم، فاجتمع إليه جماعة منهم وقالوا: يا أمير المؤمنين، ما أحد أحب إلينا مجاورة منك لأنك الإمام والحامي عن الدين، وقد أفرط علينا أمر غلمانك، فإما منعتهم منا، وإما نقلتهم عنا. فقال: نقلهم لا يكون إلا بنقلي، ولكني أفتقدهم وأزيل ما شكوتم منه. فنظروا فإذا الأمر قد عظم وازداد، وخاف أن تقع بينهم الحرب، وعادوا فاشتكوا، وقالوا: إن قدرت على نصفتنا وإلا فتحول عنا[2].
- وفي رواية تقول إن المساكن والطرق ضاقت على أهل بغداد لكثرة العساكر التي تجمعت مع الخليفة المعتصم وكثرة غلمانه الأتراك[3].
- كما يقول ابن حمدون أن جند الأتراك أخذوا يتحرشون بالنساء والصبيان، مما أغضب الناس، فكان السبب في خروج الخليفة من بغداد[4].
- أما ياقوت الحموي فيقول أن جيوش الخليفة المعتصم كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الأتراك سبعين ألفاً، فمدوا أيديهم إلى حرم الناس وسعوا فيها الفساد، فاجتمع العامة ووقفوا للخليفة المعتصم وقالوا: يا أمير المؤمنين، ما شيء أحب إلينا من مجاورتك لأنك الحامي للدين، وقد أفرط علينا غلمانك وعمّنا أذاهم، فإما منعتهم عنا أو نقلتهم عنا[5].
- إلى جانب هذا، هناك سبب آخر، وهو أن المعتصم لم يكن مطمئنًّا إلى الخرمية من جيشه، وهم العرب، لأنهم كانوا قد تلكأوا في مبايعته وأظهروا ميلهم إلى العباس بن المأمون. ويروي الطبري وابن كثير والحموي عن لسان أبي الوزير أحمد بن خالد قوله: "بعثني المعتصم بالله سنة 219هـ/834م وقال لي: يا أحمد، اشترِ لي بناحية سامراء موضعًا أبني فيه مدينة، فإني أتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلوا غلماني، حتى أكون فوقهم، فإن رابني منهم ريب أتيتهم في البر والبحر حتى آتي عليهم"[6].
- وهناك سبب آخر، أن المعتصم خاف من في بغداد من العسكر ولم يثق بهم، فقال: اطلبوا لي موضعًا أخرج إليه وأبني فيه مدينة وأعسكر به"[7].
- وهناك من يشير إلى أن الأسباب التي دفعت الخليفة المعتصم بالله إلى الانتقال من بغداد تتعلق بشخصية الخليفة، فقد كان ذا نزعة عسكرية يعتز كثيرًا بجيشه، وقد أراد أن تكون له عاصمة خاصة به وبجيشه، مقتديًا بجده أبي جعفر المنصور،

(1) ابن مسكويه، تجارب الأمم (ج6/ 478- 479).
(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية (ص 103- 104).
(3) مجهول، العيون والحدائق (ج3/ 381- 382).
(4) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية (ص 104).
(5) الحموي، معجم البلدان (ج3/ 174- 175).
(6) الطبري، تاريخ (ج9/ 17)؛ الحموي، معجم البلدان (ج3/ 174)؛ ابن الأثير، الكامل (ج6/451).
(7) الطقطقي، الفخري (ص 211)؛ عبد الباقي، سامراء (ج1/ 24).

وأن مقابلته رهبان الدير الذي كان في موقع سامراء قبل بنائها، وما دار بينهم من حديث حول اسم الموضع وتاريخه، تؤكد رغبة الخليفة المعتصم بأن يبني مدينة خاصة به ينزلها هو وأولاده من بعده[1].

- ولم يكن قد انقضى على بناء مدينة بغداد قرن واحد، عندما برزت بخاطر الخليفة المعتصم فكرة بناء مدينة جديدة، لا عن حاجة بني العباس إلى عاصمة، ولكن لأن اتجاهًا جديدًا كان يبرعم في الدولة، فالحل الذي وجده الخليفة المعتصم لجهاز الحكم في اصطناع الأتراك أدى إلى حل آخر هو الانفراد بهم في مكان خاص جديد، واتخاذ سامراء عاصمة له بدلًا من بغداد[2].
- فعندما شعر الأتراك بقوتهم وأساءوا استعمال هذه القوة، فساروا في شوارع بغداد راكبين خيولهم، دون أن يعبأوا بالمارة، فتأذى من ذلك البغداديون، فاستاءوا من هذه التصرفات، فنتج عن غطرسة الترك ثورة أبي حرب المبرقع اليماني الذي رفع راية العصيان على خلافة المعتصم بعد أن بلغه أن أحد جنود الترك حاول دخول منزله، فسار إلى جبال الأردن، وصار يحرض من يأتيه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكرهم بمعايب المعتصم. فاستجاب له فريق من الفلاحين، وتزعم أبو حرب الحركة. فعندما علم الخليفة بهذا بعث حملة بقيادة رجاء بن أيوب الحضاري، ورسم الخطة التي تهدف إلى القضاء على حركة أبي حرب، وهي أن ينتهز فرصة انشغال أصحاب أبي حرب بموسم الزراعة، عندها لم يبق مع أبي حرب إلا ما يقرب على ألف رجل، فتغلب عليه رجاء وأسره وبعث به إلى سامراء[3].

نخلص مما سبق إلى أن الأسباب التي كانت وراء انتقال الخليفة المعتصم من بغداد إلى سامراء تدور حول ضيق أهل بغداد بجنده من الأتراك وشكاواهم المتكررة من تصرفاتهم وتعدياتهم، وشكوى الجند أنفسهم من اعتداء الناس عليهم[4].

لقد فتح الخليفة المعتصم أمام النفوذ التركي بابًا جديدًا، فأسند إليهم مناصب الدولة القيادية، وأصبحوا بذلك يشاركون في تصريف شؤونها، فكان لهذه السياسة أثر بالغ في ضعفها وسيرها في طريق الانحلال والتقهقر[5]، في حين كانت سياسة الدولة تهدف إلى تقليص النفوذ الفارسي الذي كانت له اليد المطلقة في إدارة الخلافة العباسية زمن المأمون[6].

بناء مدينة سامراء 221هـ/836م

عندما كثر عدد جند الخليفة المعتصم بالله من الأتراك، وكثرت الصدامات بينهم وبين السكان في بغداد، قرر المعتصم العباسي بناء مدينة يقيم فيها هو وعسكره[7]. فاختار موضع مدينة سامراء، وأقام فيه مدة ثلاثة أيام، وكان هذا الموضع ديرًا لنصارى من العراق[8]. فاستطاب هواءه واستحسنه، فاشتراه منهم وخطط المدينة وأمر ببنائها حتى تمت، ثم انتقل إليها وأقام

---

(1) ابن الزبير، الذخائر والتحف (ص 129- 130)؛ اليعقوبي، تاريخ (ص 337).
(2) كحيلة، العقد الثمين (ص 214)؛ مصطفى، دولة بني العباس ، (ج1/ 437)؛ مصطفى، كركوك في التاريخ (ص 366- 367).
(3) عبد الغفار، الخليفة المعتصم (ص 24).
(4) شمس، تاريخ التصوف (ص 66).
(5) المرجع السابق (ص 24).
(6) الصلابي، الدولة العثمانية (ص 30).
(7) المسعودي، مروج الذهب (ج3/ 466)؛ البغدادي، تاريخ بغداد (ج3/ 346)؛ القزويني، آثار البلاد (ص 385)؛ Lapidus, A History of Islamic Societies (p. 127)
(8) اليعقوبي، تاريخ (ج2/ 473)؛ الحميري، الروض المعطار (ج1/ 42).

فيها هو وجنوده الأتراك[1]. وبدأت بعد بنائها بالنمو والازدهار والتطور بشكل سريع، وكثر سكانها وأقيمت فيها المباني والجوامع والأسواق، وأصبحت من أعظم المدن ومركزًا للخلافة أيضًا. فهذه المدينة تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وتبعد عن بغداد حوالي 125 كيلو مترًا من ناحية الشمال[2].

ومع استكثار المعتصم من الأتراك واستخدامهم في جيشه، وإسقاط العرب من ديوان الجند، وبناء سامراء للأتراك مكان إقامة لهم، إلا أن المعتصم في آخر أيامه لم يكن مسرورًا للإجراء الذي اتخذه في علاقته مع الأتراك، وهو إجراء دفعته الظروف إلى القيام به. ويستدل على ذلك من الحوار الذي دار بين المعتصم وإسحاق بن إبراهيم[3].

الخاتمة

كان الخليفة المعتصم مضطراً للاعتماد على الأتراك في جيشه؛ نظراً لأنه كان في حاجة إلى مقاتلين في زمن كانت تواجه فيه الدولة أخطاراً كثيرة، في حين كان العرب والفرس يعيشون حياة الدعة وغير مؤهلين لذلك.

كان لسياسة الخليفة المعتصم في جلب الأتراك الأثر السلبي على عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

تمكن الخليفة المعتصم بحنكته العسكرية وبرؤيته السياسية أن يلامس الضرورة الأمنية لكي يتجنب المشاكل التي يمكن أن تودي بدولته، وذلك من خلال بناء مدينة جديدة اتخذها مركزاً لدولته وموئلاً لجنده، وابتعد بنفسه وبجنوده عن بغداد.

---

(1) المقريزي، المقفى الكبير (ج7/ 373)؛ الحميري، الروض المعطار (ص 301)؛ الدوري، العصر العباسي الأول (ص 201).

(2) الطبري، تاريخ (ج10/ 311)؛ المسعودي، مروج الذهب (ج3/ 466)؛ المقريزي، المقفى الكبير (ج7/372- 373)؛ الحميري، الروض المعطار المعطار (ص 300)؛ شافعي، العمارة العربية (ص 25)؛ عبد الباقي، سامراء (ص 56).

(3) الطبري، تاريخ (ج10/ 121، 122).

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

1- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، (1965م)، *الكامل في التاريخ*، بيروت، دار صادر.

2- الأزدي، أبو الحسن علي، (1420هـ/1999م)، *أخبار الدول المنقطعة*، تحقيق عصام مصطفى عقلة ومحمد عبد الكريم محافظة ومحمد علي يوسف وعلي إبراهيم عبابنة، ط1، إربد- الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع.

3- ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد، (1423هـ/2002م)، *تاريخ طبرستان*، ترجمة أحمد محمد نادي، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

4- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (2004م)، *المسالك والممالك*، بيروت، دار صادر.

5- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (1988م)، *فتوح البلدان*، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

- (1997م)، *جمل من أنساب الأشراف*، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، ط1، بيروت، دار الفكر.

6- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (د. ت)، *النجوم الزاهرة*، د. ط، مصر، دار الكتب.

7- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، (1999م) ، *لطائف المعارف*، تحقيق عدنان الرجب، ط1، الدار العربية.

8- الجاحظ، أبو عثمان عمرو، (1986م)، *رسالة مناقب الترك*، دراسة وتحقيق محمد محمود الدروبي، جامعة الكويت، مجلس النشر العالمي.

9- الجهشياري، أبو عبدالله محمد، (1401هـ/ 1980م)، *الوزراء والكتاب*، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط2، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

10- ابن الجهم، علي (د. ت)، *الديوان*، تحقيق خليل مردم، د. ط، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

11- ابن حسول، أبو العلاء، (ق 5هـ)، *تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ومناقب الحضرة السلطانية*، نشره عباس العزاوي، خزانة محمد نزار الدباغ، مصر: دار الكتب المصرية، العراق: المتحف العراقي.

12- ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن علي بن حمدون، (1996م.)، *التذكرة الحمدونية*، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، بيروت، دار صادر.

13- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي، (1995م)، *معجم البلدان*، بيروت، دار صادر.

14- الحميري، أبو عبدالله محمد عبد المنعم، (1980م)، *الروض المعطار في أخبار الأقطار*، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة.

15- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله، (2010م)، *المسالك والممالك*، بيروت، دار صادر أفست ليدن.

16- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد، (د. ت)، *تاريخ بغداد أو مدينة السلام*، د. ط، بيروت، دار الكتاب العربي.

17- ابن خلدون، عبد الرحمن، (د. ت)، *تاريخ ابن خلدون*، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، ، د.ط، بيروت، مؤسسة جمال الدين.

18- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، (1426هـ/2005م)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق إحسان عباس، ط4، بيروت، دار صادر.

19- ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، (1397هـ/1977م)، *تاريخ خليفة ابن خياط*، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط2، دمشق، دار القلم، بيروت، مؤسسة الرسالة.

20- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن دحية بن خليفة الكلبي الداني، (1412هـ/2001م)، *النبراس في تاريخ بني العباس*، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

21- الذهبي، شمس الدين محمد، (1419هـ/1998م)، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط11، بيروت، مؤسسة الرسالة.

- (1985م)، *العبر في خبر ممن غبر ويليه ذيول العبر*، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني وزغلول أبو هاجر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

22- ابن الزبير، الرشيد، (1959م)، *الذخائر والتحف*، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، طبعة التراث العربية.

23- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، (2002م)، *الأعلام*، ط15، بيروت، دار العلم للملايين.

24- السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، (1389هـ/1969م)، *تاريخ الخلفاء*، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط4، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الفجالة الجديدة.

25- ابن صاعد الأندلسي، القاضي أبو القاسم، (1330هـ/1912م)، *طبقات الأمم*، تحقيق لويس شيخو، ط1، بيروت، المطبعة الكاثوليكية.

26- الطبرسي، الفضل بن الحسن، (1979م)، *أعلام الورى بأعلام الهدى*، تحقيق علي الفقاري، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.

27- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (1967م)، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، بيروت، دار المعارف.

28- الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بالطقطقي، (2012م)، *الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية*، بيروت، دار صادر.

29- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد، (1385هـ/1965م)، *العقد الفريد*، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، د.ط، القاهرة.

30- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن الفلاح، (1350هـ)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*.

31- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (د.ت)، *المختصر في أخبار البشر*، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ويحيى سيد حسين، ط1، بيروت، دار المعارف.

32- ابن الفقيه، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، (1996م)، *البلدان*، تحقيق يوسف الهادي، ط1، بيروت، عالم الكتب.

33- القاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن باية، (2001م)، *رأس مال النديم*، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، الإمارات العربية، مركز زايد للتراث والتاريخ.

34- القزويني، زكريا بن محمد، (2010م)، *آثار البلاد وأخبار العباد*، بيروت، دار صادر.

35- القضاعي، أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري، (1998م)، *الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء المعروف بتاريخ القضاعي*، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت/ صيدا.

36- القلقشندي، أبو العباس أحمد، (1384هـ/1964م)، *مآثر الأناقة في معالم الخلافة*، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط1، بيروت، عالم الكتب.

- (1400هـ/1980م)، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

37- الكتبي، محمد بن شاكر، (1991م)، *عيون التواريخ*، مطبعة أسعد.

38- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (د. ت)، *البداية والنهاية*، بيروت، دار المعرفة.

39- الكندي، أبو عمر محمد، (2003م)، *كتاب الولاة وكتاب القضاة*، بيروت، دار الكتب العلمية.

40- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (د.ت)، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، د.ط، بروت، دار الأندلس.

- (1938م)، *التنبيه والإشراف*، تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي، القاهرة، مكتبة الشرق الإسلامية.

41- المقدسي، المطهر بن طاهر، (د.ت)، *البدء والتاريخ*، د.ط، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية.

42- المقريزي، تقي الدين أحمد، (1411هـ/1991م)، *المقفى الكبير*، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

- (1997م)، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

- (1990م)، *شذور العقود في ذكر النقود*، دراسة وتحقيق أ.د. محمد عبد الستار عثمان، القاهرة، مطبعة الأمانة.

43- مؤلف مجهول، (د.ت)، *العيون والحدائق في أخبار الحقائق*، د.ط، بغداد، مكتبة المثنى.

44- النويري، شهاب الدين أحمد، (1404هـ/1984م)، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسين، د.ط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب.

45- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، (1422هـ/2001م)، *البلدان*، بيروت، دار الكتب العلمية.

- (1883)، *تاريخ اليعقوبي*، بيروت.

المراجع العربية

1- الاحمدي، خلود محمد، (2006م)، *سامراء عاصمة الخلافة العباسية 221-279هـ/836-892م* دراسة في الحياة الاجتماعية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

2- أرنولد، توماس وولكر، (1971م)، *الدعوة إلى الإسلام*، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة د. حسن إبراهيم، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، ط1، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

3- بارتولد، (1996م)، *تاريخ الترك في آسيا الصغرى*، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

4- البارودي، د. رضوان محمد وإدريس، د. صبحي عبد المجيد، (2008-2009م)، *دراسات في تاريخ الدولة العباسية*، طبعة السلطان.

5- بروكلمان، كارل، (1984م)، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت.

6- حسن، حسن إبراهيم، (2001م)، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، بيروت، دار الجيل.

7- الحسن، عيسى، (2009)، *الدولة العباسية: تكامل البناء الحضاري*، د.م، دار الأهلية للنشر والتوزيع.

8- الخضري بك، محمد، (1406هـ/1986م)، *محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)*، تحقيق محمد العثماني، ط1، بيروت، دار القلم.

9- أبو خليل، شوقي، (1978م)، نهاوند، دار الفكر المعاصر، القاهرة، 1973.

10- الدوري، عبد العزيز، (1997م)، *العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي)*، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية.

11- شافعي، فريد محمد، (1982م)، *العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها*، ط1، الرياض، شركة الطباعة العربية.

12- شمس، طارق أحمد، (2016م)، *تاريخ التصوف في وسط آسيا*، بيروت، دار الفارابي.

13- الصلابي، علي محمد، (2001م)، *الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط*، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

14- عبد الباقي، أحمد، (1989م)، *سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين*، ط1، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام.

15- عبد الغفار، جهاد محمود توفيق، (2013م)، *الخليفة المعتصم ودوره السياسي (218-227هـ/833-842م)*، بحث منشور على شبكة الألوكة.

16- القرغولي، جهادية، (1967م)، *الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء خلال القرن الثالث الهجري*، بغداد، مطبعة دار البصري.

17- كاظم، نادر، (2011م)، *تمثيلات الآخر، صور السود في المتخيل العربي الوسيط*، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

18- كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن، (1417هـ/1996م)، *العقد الثمين في تاريخ المسلمين*، الكويت، دار الكتاب الحديث.

19- كوركيس، عواد، (1961)، *تحقيقات بلدانية تاريخية في شرق الموصل*، مجلة سومر، مج 17، بغداد.

20- ليسترنج، كي، (1985م)، بلدان الخلافة الشرقية، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد.

21- محمود، د. حسن أحمد، الشريف، د. أحمد إبراهيم، (2005م)، *العالم الإسلامي في العصر العباسي*، القاهرة، دار الفكر العربي.

22- مختار، عمر أحمد، (1429هـ/2008م)، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط1، القاهرة، عالم الكتب.

23- مصطفى، جواد، (2005م)، *كركوك في التاريخ*، بغداد، مجلة ميزوبوتاميا، مركز دراسات الأمة العراقية، بغداد.

24- موسوي، مصطفى عباس، (1982م)، *العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية*، بغداد، دار الرشيد للنشر.

المراجع الإنجليزية

1- Barthold,W., *Turkestan down to the Mangol invasion*, Oxford, 2nd edition, 1928.
2- Chase, F., Robinson, (2001), *Medleval, Islamic City*, Reconsidered an interdisciplinary Approach to Samarra (Oxford Studies in Islamic Art), Oxford University Press.
3- De Guignet, (1756-1578), *Histoire générale des huns, Des Turcs, des Mangols, et des Autrs Tartares Occidentaux*, avant et depuis Jésus-Christ jusqu'à présent, Volume 1, Paris; Chez Desaint Saillant.
4- Grousset, René, (1970), *The Empire of the Steppes: A History of Central Asia*, translated from French by Naomi Walford, New Brunswick, New Jersy, Rutgers University Press.
5- Lapidus, Ira M., *A History of Islamic Societies*, (2014), Cambridge University Press.
6- Osman, A. Ismail, *Mutasim and the Turks, (1966)*, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 29, No. 1.
7- *Oxford Dictionary* of Byzantium, vol. 2, 1991.